مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــ المجلد: 12 / العـدد:01 (مـــاي 2024) ص 138– 156
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

إقتصاد المعرفة ومستقبل الإنسان المعاصر.جان فرانسوا ليوتار أنموذجاً

The Knowledge economy and the future contemporary Human. Jean-François Lyotard as model

ط. د: نعمون صونية [1]، إشراف أ.د: بلعكروم فتيحة [2]
Naamoune Sonia [1], Belakroum Fatiha[2]
1 مخبر: تكوين المجتمعات وديناميكية الأقاليم، المدرسة العليا للأساتذة الكاتبة آسيا جبار(الجزائر)
naamoun.sonia@ensc.dz
2 مخبر: تكوين المجتمعات وديناميكية الأقاليم، المدرسة العليا للأساتذة الكاتبة آسيا جبار(الجزائر)
Belakroum_fatiha@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2023/12/30	تاريخ القبول: 2024/03/13	تاريخ النشر: 2024/05/16

الملخص: يتمثل ملخص هذه الدراسة في تقديم رؤية ليوتار الفلسفية حول الإستثمار في "المعرفة الإنسانية"، والتساؤل في مخاطر الثورة المعلوماتية، ومناظرتها بعرض إستراتيجية تفكيرية قائمة على الإستثمار في الفكر. كما سيتم التركيز في هذا البحث على المقترحات البراغماتية التي تجعل من الإنسان المعاصر يستثمر في قدراته الفكرية، وذلك بتكوين كفاءات "داخل الجامعات" و"مراكز التأهيل"، كما سيتم الإهتمام بالعلوم الإنسانية خاصة "الفلسفة" و"التحليل النفسي" وعرض سياسة ليوتار الفلسفية، لفهم دينامية مجتمع المعلومات بالتوازي مع سردية العلم الذي اصبح رأس المال المتنازع حوله في الوقت الراهن والمتحكم في إقتصاد المعرفة.

كلمات مفتاحية: إقتصاد المعرفة، الإقتصاد الليبيدي، إعادة التأهيل.،الثورة المعلوماتية، الإستثمار.

Abstract

The summary of this study aims to Present Lyotard's Philosophical framework for investing in human Knowledge, questioning the dangers of the information revolution, and contrasting it with proposing a strategic thinking approach based on investing in thought. This research will also focus on the pragmatic proposals that make contemporary human invest in their intellectual abilities, and that By creating competencies within universities and rehabilitation centres, As will be taken care of the human sciences, especially philosophy and psychoanalysis, and Presenting Lyotard's Philosophical Policy to understand the dynamics of the information society in parallel with the narrative of science, which has become the capital that is currently being contested and controlling the knowledge economy.

Keywords: The knowledge economy; Libidinal economy; Rehabilitation; knowledge revolution; Investment.

المؤلف المرسل: نعمون صونية، **الإيميل**: naamoun.sonia@ensc.dz

1. مقدمة:

تعتبر مرحلة مابعد الحداثة محطة إنتقالية في تاريخ الفكر الفلسفي، تغيرت فيها المفاهيم والمناهج الفلسفية والموضوعات المدروسة أيضاً، وإنزاح الفلاسفة المعاصرين من التساؤل حول الماهيات المجردة والمتعالية إلى التساؤل حول المشاكل الحياتية والواقعية، وذلك بالنظر إلى التغيرات المحيطة به والناتجة عن الثورات العلمية والتطورات التقنية المتواصلة، ولعلّ، الفيلسوف فرنسي الأصل_ جان فرنسوا ليوتار Jean-François Lyotard (1924-1998) والأنجلو-ساكسوني التفكير، عايش فلسفياً تحديات ورهانات الواقع المابعد جداثي، حيث قدم ليوتار تقريراً شاملاً يشرح فيه كل مظاهر الحياة المعاصرة من خلال دراسته للبنية الفوقية (Super Structure) المتُمثلة في "المعرفة" وعلاقتها با"لإقتصاد"، إنطلاقاً من الواقع. جمع ليوتار فلسفياً بين حركة الأفكار والمعلومات وقدرتها على تحريك دينامية الإقتصاد وتنميته، وذلك بتقديم تراتبيات الإقتصاد بشكل جينيالوجي: بدءاً من رصده للإقتصاد السياسي الذي شهدته الحداثة الغربية (عصر الصناعة) مروراً باقتصاد الرغبة ثم الإنتقال إلى إقتصاد المعرفة الذي تطور في المجتمعات المابعد صناعية، والذي عرف سطوته مع تطور "برمجيات الحوسبة"، وظهور "علم التحكم الآلي"(السيبرنيطيقا)، و"علم التواصل عن بعُد"(التليماطيقا) والإعتماد على هذه العلوم، ساعد بدوره على جعل الإقتصاد عالمياً بعد أن كان قومياً، وإنتقل البحث عن "كفاءات" بعد أن كان الإهتمام بالبحث عن "مناطق إستثمار جديدة" الأمر الذي يجعل قارئ ليوتار في هذا المقام يضع الفرضية التالية:

-مصير الإنسان المعاصر في الفترة المعاصرة مرهون بالتكنولوجيات الحديثة والتي تعمل بدافع وهوس التنمية الإقتصادية دون مراعاة القيم الأخلاقية والخصوصية الإنسانية.

أصبح تداول رأس المال المادي مرهون بالتداولية البراغماتية لرأس المال المعنوي المتمثل في "الموارد البشرية" والتي صنعت بدورها الحدث الإقتصادي الذي يمكن التساؤل إستشّكالاً حوله:

-إذا كان الإنسان مورد إستثمار مهم في إقتصاد المعرفة، ماهو موقعه بالنظر إلى إنسانيته وسط التداولية الإقتصادية للمعرفة العلمية؟ كما يمكن التساؤل أيضاَ، كيف ناقش ليوتار إقتصاد المعرفة بالقرب من سؤال الإنسان؟ وماهي الأدوات المعرفية والمنهجية التي إعتمدها في تحليله لسردية الإقتصاد المعاصر؟.

هذه الأسئلة وأخرى جعلت البحث يتطلع إلى تحقيق أهداف كثيرة نذكر من بينها:

-تشخيص أزمة الإنسان المعاصر ومعرفة موقعه داخل الخطاطة السياسية والإقتصادية لمجتمع المعلومات.

-التأكيد على البنية الفوقية للإقتصاد والمتمثلة بالأساس في "الأفكار"، وبلغة الفلسفة البراغماتية، التركيز على الأفكار الواضحة والمتميزة التي تستطيع تغيير الواقع الإقتصادي إلى الأفضل.

–كشف جانب مهم ومخفيّ في فلسفة ليوتار يقوم على الإقتصاد الليبيدي الذي تعمل آلياته على الإستثمار بطريقة غير مباشرة في الرغبات المكبوتة.

لفحص مدى صحة الفرضية ولمناقشة إشكالية البحث وتحقيق أهدافه، أخذ البحث مسار تفكيري يتبع منطق تفكير ليوتار ذاته، وضمن خطة بحث يتم عرضها على النحو التالي: أولاً_ تمثلت البدايات الفلسفية لأسئلة ليوتار الأساسية بالبحث الجذّري عن أصل ظهور إقتصاد المعرفة والمُتمثل في "الأزمة والإرهاصات"، وعرض تناحريات شرعية العلم مع شرعية الإقتصاد. أما ثانياً_ الإنتقال مع ليوتار من البحث في الإرهاصات إلى البحث في تفكيك الأنظمة الإقتصادية المكُونة للإقتصاد السياسي وكشف البنية اللاشعورية المُتحكمة في كل مظاهر الإقتصاد الحديث مع "الرأسمالية" و"الإشتراكية"، ومن خلال هذا التفكيك لهذه النُظم، تم تبيين قيمة " التحليل النفسي" في تحليل أزمات المجتمع المختلفة بواسطة عرض إبستيمية "الإقتصاد الليبيدي"، ثم التطرق بوضوح إلى تحليل سياسة إقتصاد المعرفة وعلاقة العلم بالمصلحة والسياسة، وطرح إنشغالات ليوتار التساؤلية حول مصير الإنسان المعاصر وأبعاد إقتصاد المعرفة المستند على "التقنيات المعاصرة" في أفق مايصطلح عليه ليوتار باللا–إنساني. وفي الأخير، عرض النتائج المتوصل اليها. كما أن عرض وتحليل أفكار البحث تمت من خلال إتباع المنهج التحليلي النقدي الذي تم إعتماده في متن البحث.

2. الأزمة والإرهاصات

1.2 مساءلة شرعية العلم:

يُعد كتاب:"الوضع مابعد الحداثي" La Condition Post–moderne 1979 المدونة الرسمية التي رافع ليوتار بواسطتها كل الأسئلة الفلسفية، ورسم من خلالها الخطوط الأساسية لدراسة "الوضع مابعد حداثي"، حيث كانت مساءلته تجمع بين السياسة والعلم والإقتصاد. محاولاً ليوتار في كل مرة من خلال منهجيته البحثية على تشخيص الأزمات الفكرية، والتنقيب على أسبابها بشكل راديكالي، ومن بين الأزمات التي أكد عليها ليوتار هي "أزمة سردية العلم" والأسس التي يستند عليها الخطاب العلمي للحداثة الغربية، مؤكداً بضرورة مناقشة وضع العلم في فترة الحداثة لكي يمكن منطقياً ومنهجياً مناقشة سؤال العلم المعاصر الذي دخل مجال الإقتصاد، بل أصبح مركز كل سياسة إقتصادية. و كذلك نقد ليوتار للقيم الحداثية والأساليب التفكيرية والميتودولوجية للفلسفة النسقية الشمولية، وتفكيك اللعبة اللغوية للنسق، هذا إلى جانب، شرح آلية سير المذاهب الفلسفية الكبرى، وفلسفات التاريخ وفضح قدرتها التمويهية والحجاجية لبقاء مقولاتها الفلسفية عبر مايصطلح عليه ليوتار بتقنية"السرد" وتمرير الحكايات من جماعة فلسفية إلى أخرى والعمل على نقد مقولتي:"الحداثة" و"التنوير" بوصفهما مصدر كل أزمة،

والقاعدة المتينة لإنبجاس "وهم التقدم"، وهو ماإشتغل ليوتار جاهداً على تقويضه، مُعلناً في كل مرة بأن أمثولة التقدم وهم صنعته المذاهب والأنساق الفلسفية للحداثة الغربية، بالأخص يقصد فلسفات التاريخ الهيغلية والماركسية.

يرى ليوتار بأن هيغل قدم "وهم التقدم" من خلال منطق جدل الروح المطلق وتحقيق إمكاناتها عبر التاريخ وكانت فكرته التقدمية لاتخرج عن الإطار التنظيري وأنطولوجيا نسقه المتعالي، في حين جعل كارل ماركس "البروليتاريا" موضوعاً، يُسير من خلاله فلسفته التاريخية وأداة تخدم منطق جدله، ومحرك ديناميكي لصراع المتناقضات داخل التاريخ الذي وعد به طبقة البروليتاريا؛ بانها الطبقة التي ستسكن المستقبل، وترسيخ هذه الفكرة في ذهنية البروليتاريا وهي نفس الرؤية التقدمية يمكن إيجادها في كل فلسفة تعتنق "مذهب التقدم" الذي دعت اليه فلسفات التاريخ لهيغل وماركس، هذا ما إستفز ليوتار وجعله يناهض المنطق التقدمي الزائف للتاريخ ويثبت بأنه عبارة عن مغالطات فكرية تستثمر ليبيديا في اللاشعور الجمعي للمجتمع وتتخذ صراع الأضداد عبر التاريخ حجة لها، ذلك :" لأن الماركسية والهيغلية لم تتنبأ بمسار التاريخ ولابحدث الهولوكوست" (دبابي، 2013، صفحة 153). إتخذ ليوتار حادثة الهولوكوست/ الاوشفيتز (Auschwitz)حجة رافع بواسطتها زيف القول الفلسفي لمشروع الحداثة الغربية، وليبين بذلك بأن فلسفة هيغل الإستباقية والأنجلوسكوبيدية/ الموسوعية(Encyclopédie) فشلت في التنبؤ بحدث الهولوكوست وهو الحدث الذي يفند رسمياً زمانية فلسفة التاريخ الهيغلية وتبريراتها المختلفة حول فكرة "التقدم للأفضل" الأمر ذاته بالنسبة لفلسفة ماركس حيث :" إعتبر ليوتار الماركسية سردية كبرى، (...) حيث رفض ليوتار فكرة التقدم التاريخي والإجتماعي عبر دينامية الصراع في المجتمع" (دبابي، 2013، صفحة 155).

ما أراد ليوتار توضيحه بأن "وهم التقدم" والتطور الذي صنعته حكاية التاريخ الهيغلي ودفعت سردية ماركس مقولاته للبقاء، تجلت في الخطاب العلمي أيضا، حيث كانت العلوم لاتخرج عن الأنجلوسكوبيديا الهيغلية، وتُقدم حزمة واحدة (En bloc) وبشكل شمولي إجماعي، وإذا كان نسق فلسفي واحد يتحدث باسم كل العلوم ويصادرها فهذا مايثبت وبالبرهان "سلطة الذات العارفة" على الموضوع المعروف، ماولد ايضا أزمة ممارسة السلطة على المعرفة وهي المسألة الفلسفية التي ناقشها بوضوح ميشال فوكو(1926-1984) و الذي إكتشف بدوره جينيالوجياً الإرهاصات الأولى للإستثمار المعرفي، من خلال ماقامت به فلسفة "الذات المتعالية" منذ ديكارت ومصادرتها للمواضيع العالمية باسم سلطة "الأنا المُفكرة"، وكانت الحداثة الغربية محطة خطابية لم تنفصل فيها الكلمات عن الأشياء، بل بقيت تحت سلطتها و"الذات المتكلمة" هي من يمتلك شرعية الخطاب، ولاوجود لشرعية دون ذات مُشرعنة للخطاب وواضعة له وبالتالي أصبحت بعبارة فوكو الشهيرة" المعرفة سلطة"؛ وذلك من خلال إتخاذها الطابع الشمولي والدوغمائي وممارسة الوصاية على التفكير، كما دشنت ذلك مرحلة الحداثة، إذْ يفرق ليوتار بين

"شرعية العلم" و"شرعية الحكاية"، فالأولى تأخذ سناداتها الفلسفية من نماذجها القياسية للبراديغمات العلمية، والثانية تستند على فعل الِحَكي وتكرار الرواية ذاتها بصِيغ مُختلفة قصصية، أكثر منها علمية موضوعية، يقول ليوتار في هذا الصدد:" ظل العلم، منذ البداية، في تعارض مع الحكايات. ولدى الحكم بمقياس معايير العلم الخاصة، يتضح أن أغلب هذه الحكايات خرافات لكن، بقدر ما لايقتصر العلم على مجرد تقرير انتظامات مفيدة وبقدر ماينشد الحقيقة فلابد له من إضفاء المشروعية على قواعد لعبته ذاتها" (جان فرانسوا ، 1994، صفحة 23).

والحق أن، هذا "الإضفاء للمشروعية" هو مارسخ ذهنية ممارسة السلطة على المعرفة في الفكر الغربي، وذلك بجعل كل النماذج العلمية تتحدث وفقاً للعبة لغوية واحدة، حيث تفرض هذه اللعبة قواعدها على باقي الألعاب اللغوية الأخرى أو الخطابات الممُاثلة لها. وهو الدرس الفلسفي الذي تعلمه ليوتار من الفيلسوف نمساوي الأصل إنجليزي التفكير لودفيغ فيتغنشتاين (1889–1951) :" يُحلل ليوتار المعرفة العلمية من منظور تداولي يعتمد نظرية الالعاب التي طورها الفيلسوف النمساوي الأصل الانجليزي الثقافة، فيتغنشتاين مقدماً في الوقت نفسه مقاربة للخطاب" (الزواوي، 2009، صفحة 17). وأخذ عليه ليوتار مصطلح"اللعبة اللغوية"مفُسراً بواسطتها كل الخطابات المابعد حداثية، ويفيد هذا الإستخدام الإصطلاحي معنى؛ إقامة خطاب علمي واحد بوصفه الخطاب الوحيد المُخبر عن الحقيقة والنموذج التوحيدي لجميع الخطابات، لذلك يفضل ليوتار"العاب لغوية" مختلفة لتدشين فكر الإختلاف القائم على الثورة، والتمرد والخلاف الذي يحكمه منطق "النزاع" لا "الإجماع". وحسب تصور ليوتار الخاص، فإن الإجماع والمواضعاتية مفاهيم مضى زمنها مع حتمية نيوتن وهندسة إقليدس، أما النزاع والنسبية فاتحة الخطابات العلمية "اللاقياسية"(L'incommensurabilité) على طريقة فلاسفة العلم أمثال، توماس كون، وبول فايربند وكارل بوبر وغيرهم من الفلاسفة والإبستيمولوجيين الذين أرادوا تحرير العلم من سلطة كل مؤسسة أو منظومة أو حتى نسقاً علمياً أو فلسفياً من خلال المقاربة النسبية للعلم.

تتمثل هذه المقاربة بالنسبة لليوتار فى تحليل لغة الخطاب العلمي بالقرب من لغة الفعل الإقتصادي متسائلاً عن الرابطة الإجتماعية والسياسية للمجتمع مابعد حداثي، بالأحرى، التساؤل حول البنية التحتية(infrastructure)المُكونة للمجتمع والإقتصاد بالتناظر مع البنية الفوقية للعلم والمعرفة والثقافة، وهي الإشكالية الأساسية التي طرحها ليوتار بكل وجاهة في مستهل كتابه" الوضع مابعد حداثي" بالقول :" والسؤال هنا هو التالي: هل تكون مشروعية الرابطة الإجتماعية، هل يكون المجتمع العادل، ممكناً عملياً على أساس تناقض مماثل للتناقض في النشاط العلمي؟ وماذا يمكن هذا التناقض؟" (جان فرانسوا، 1944، صفحة 25).

وهي الأسئلة الأساسية التي طرحها ليوتار والتي سيتم التركيز عليها في هذا السياق الإستشّكالي، وذلك من خلال التأمل في"تقريره عن المعرفة" في فترة الحداثة بالتحديد في المجتمع الصناعي الذي ظهرت بواسطته الأنظمة الإقتصادية تحت مُسمى"الإقتصاد السياسي" الذي يرافق أسئلته ليوتار ويستنطق رهاناته وأبعاده في محطات فكرية سيتم التعرف عليها لاحقاً عبر تتبع مسارات البحث.

2.2 رهانات الإقتصاد السياسي

بعد رحيل ليوتار من الجزائر إلى فرنسا وبدأ يدرس بالجامعة الفرنسية (سانت–دينس) حدث تغيير في توجهاته الفكرية وميوله الفلسفي، لكن لم تتغير قناعاته الثورية والتمرّدية، إنفصل عن الجماعة:"الإشتراكية،البربرية" (socialisme ou barbarie)سنة 1964، والتي تُمثل بدورها القيم الماركسية والنضال الإشتراكي. هذا المنعرج الفلسفي الذي عرفه فكر ليوتار يُعتبر محطة إنسلاخية في مسار تفكيره، حيث إنتقل إلى الكتابة حول" الفينومينولوجيا" و"الجماليات" و"التحليل النفسي"، وأعلن رسمياً ميلاد "فكر الخلاف"، وعمل من خلال إقتصاد الرغبة على نقد ماركس بواسطة الفينومينولوجيا والتحليل النفسي، والتنقيب في لاشعور إقتصاد ماركس من خلال كتابه الشهير:" الإقتصاد الليبيدي" 1979 (économie libidinale) والذي يصفه ليوتار ب:" الكتاب الرهيب" لما يحمله من نبوءات شئم ولعنات متواصلة على التقاليد الماركسية والاقتصاد السياسي بعامة؛ وهو الكتاب الثوري بامتياز؛ ثار ليوتار بواسطته على الفكر الماركسي وعلى اسلوب الكتابة الفلسفية، وقدم الفكر بجمل متواصلة الكتابة متقطعة المعنى ومنفصلة تجعل القارئ مُؤول لامُفسر للنص اليوتاري. جعل "الاقتصاد الليبيدي" ليوتار منبوذاً من طرف الفكر المادي و عندالماركسيين بصفة بعامة، وما اراد ليوتار تثبيته هو " جعل ماركس ليبيدياً"، فلنقل كشف ليبيدية ماركس بواسطة التحليل النفسي :" سيكون من دواعي سعادتنا أن نقوم داخل الخطاب الليبيدي بإعادة ترجمة تلك الشحنات التي لازمت فكر ماركس والتي تتخفى بشكل عام في الوقار المتأصل في خطاب الإقتصاد والسياسة، لذلك فسوف نبين أنه بمصطلحات ماركس الخاصة يعتبر الإقتصاد السياسي إقتصاداً ليبيدياً" (جيمس وليامز، 2003، صفحة 96).

كشف ليوتار تناقضات القول الماركسي، ورأى بأن ماركس تصرف بطريقة رأسمالية مع الطبقة العمالية وإستغل موقع هذه الطبقة في المجتمع من أجل أغراضه الشخصية، و إقتصد ماركس معرفياً ومعنوياً في قدرات ومواهب وكفاءات وخبرة "البروليتاريا" من أجل توسيع نشاطه الإشتراكي بطريقة شيوعية، وماهو شائع بأن اقتصاد ماركس أقر بخطاب إنساني يتحدث فيه عن "الذات المقصِية" و"المُهمشة" داخل التاريخ، وتُمثل على الدوام ظِلٌ الطبقة البورجوازية، كما حاول ماركس ايضاً تخليص البروليتاريا من مظاهر"الإغتراب"(Aliénation) الذي لازم

هذه الطبقة في ظل النظام الرأسمالي، والحق أن ماركس، حسب رؤية ليوتار النقدية، ناقش أزمة الإغتراب الذي خلقته الرأسمالية الصناعية داخل المصنع؛ أي فكر في المسافة الوظيفية الرابطة بين الإنسان (Homme) وبين الآلة (La Machine). ولم يخرج عن هذا النطاق، ومن هذه المسافة بالضبط، إنبثقت كل فلسفة ماركس الثورية ضد الممارسات "اللاانسانية" للراسمالية ضد إنسانية الإنسان، هذا إلى جانب، مرافعة ليوتار لماركس في نقطة بالغة الأهمية، كون أن ماركس جعل "الكل البروليتاري" يتوهم بحياة سعيدة والعيش على أمل الغد الأفضل حيث يُعلن ماركس :" قائلاً: إن الاقتصاديين السياسيين يقعون في خطأ جسيم حين يفترضون ان الأفراد ينطلقون أحراراً في السوق وبواسطتها، ليس الفرد من ينطلق حراً خلال المنافسة الحرة بل هو بالأحرى رأس المال" (ماركس، 1984، الصفحات 25–26).

لطالما كان رأس المال المُحرك اللاشعوري لِإثنية كل سياسية إقتصادية مهما إدعت قيم الإنسانية، ولطالما أصبح أيضا، رأس المال الغاية لنظام ماركس الإشتراكي مهما إدعى غير ذلك، بعيداً عن كل مشروع إصلاحي إنساني، المشروع الذي رأى فيه ليوتار بأنه ليوتوبيا، حرك من خلالها ماركس مخيال الشعوب وحشدها نحو تأملاته واهدافه الإقتصادية. بهذا يقف ليوتار على عكس لويس ألتوسير (1918–1990) الذي دافع عن كتابات ماركس ونصب ذاته الشارح الأكبر لفكره، هذا ماجعل هذا الأخير متورط لحد كبير في الفعل السياسي الشيوعي وكان من ابرز أعضاء "الحزب الشوعي الفرنسي"(Parti communiste français) ولم ينفصل عنه على خلاف الكثير من المثقفين الذين إنفصلوا عنه أمثال: ميشال فوكو، وليوتار وغيرهم. وبالحديث عن الإقتصاد بجانب الإنسان، فإن "مفهوم الإنسان" عند ماركس قد أُسيئ فهمه حسب تصور إريك فروم (1900–1980) وحسب تصور فروم فإن النظام الروسي/الشيوعي شَوه المشروع الماركسي وحاد بأهدافه الأساسية وقدم نظام الروس للعالم فكر ماركس غير فكر ماركس الثوري الإنساني:" الشيوعيين الروس تبنوا نظرية ماركس وحاولوا إقناع العالم بأن تطبيقهم ونظرياتهم تتبع أفكاره" (إريك، 1998، صفحة 20) . بهذا يقف اريك فروم إلى جانب التوسير بالدفاع عن ماركس، وذلك بالتأكيد على فكرة بأن ماركس لم يستثمر لا ظاهريا ولاليبيدياً في الإنسان، واعتبر الفيلسوفين بأن ماجاء به ماركس كان صادقاً، وسوء الفهم لكتاباته والحضور السياسي للجمهورية الروسية شوه فكره ومشاريعه، هذا الى جانب:" لقد اعتقد الشيوعيون الروس كالإشتراكيين الإصلاحيين، أنهم أعداء للرأسمالية، بينما نراهم يتصورون الشيوعية أو الإشتراكية من خلال روح الرأسمالية، بالنسبة لهم إن الإشتراكية ليست مجتمعاً مختلفاً إنسانياً، بل شكلاً من الرأسمالية الذي تحصل فيه الطبقة العاملة على مكانة إجتماعية أرقى" (اريك، 1998، صفحة 21).

مايهم في قراءة ماركس حسب ليوتار، كشف الرغبات المخفية والمكبوته داخل بنية القول الماركسي، والتي تُمارس آلية "التنكر" بلغة فرويد في شكل مشاريع تنموية لخدمة الصالح العام، في حين ماهو مكبوت في ليبيدو ماركس هو السيطرة بواسطة المعرفة المتمثلة بالأساس في خطابه الفلسفي الإقتصادي، كما ركز ليوتار في تحليله لماركس بأن إقتصاد المعرفة في شكله الراهن والمُتقدم بدأت إرهاصاته مع القول الماركسي، حيث أن ماركس إستثمر في إنسان الحداثة من ناحيتين: الناحية الأولى، والمتمثلة بالإستثمار في قدراته ومواهبه وإستعداداته وبِنيته الجسدية أما من الناحية الثانية، إستثمر فيه ليبيديا وإستماله نحو أهدافه بدون وعي منه، وهي الإستراتيجية نفسها يمكن ملاحظتها مع الإقتصاد الراهن القائم على "إقتصاد المعرفة(économie de la connaissance) بواسطة نُظم المعلومات والإعلام. وكل إقتصاد مهما كان نوعه ومحطته الزمانية وعصره فإنه يقوم بالإستثمار في حاجات وطموحات ومهارات وكفاءات الإنسان، وهي المقومات الأساسية لكل فِعل إقتصادي.

بدأ في المجتمع الصناعي(société industrielle) الإستثمار(investissement) في الذات الإنسانية مع الرأسمالية حيث إستثمرت في مجهودات الإنسان الجسدية، إستثماراً إستغلالياً واضحاً، في المقابل، كان إستثمار ماركس مَستتر، وكان إقتصاداً في الدوافع الغريزية والرغبات المقموعة من طرف النظام الرأسمالي، وهو مايدفع إلى القول بأن إشتراكية ماركس هي رأسمالية مُحدثة، حسب توقعات ليوتار ، ومن هذه النقطة بالتحديد، دخل الإنسان إلى عجلة قانون القيمة، حيث يتم تداول رغباته كما تتداول الراسمالية الأرباح بين مستثمريها لأن :" في ظل الرأسمالية اصبح كل هذا متساوياً، وأساليب الإنتاج مُبسطة في قانون القيمة وبالتالي فإن كل شيئ جيد للإنتاج" (Jean François, 1994, p. 33) . وجيد للإستثمار حتى مشاعر ورغبات البروليتاريا والتي اصبحت في الإقتصاد السياسي "رأس المال ليبيدي" يتم الإستثمار فيه من أجل تنمية رأس المال المادي، ودخول الليبيدو سوق الإنتاج ويتم الإستثمار فيه بمضاعفة الجهد والظغط نفسياً على حاجيات العمال، ليظهر ذلك الجهد في شكل سلعة مادية يتم تداولها في السوق الرأسمالي، هذا هو الإستغلال الذي مارسته الرأسمالية علناً والإشتراكية سراً. فإذا كانت الأولى أدخلت العمال في إغتراب مادي وجعلت من الإنسان يتساوى مع الآلة وظيفياً داخل ورشات العمل والمصانع، فإن إستغلال ماركس كان معنوياً مُركزاً على ليبيدو البروليتاريا وذلك أشد أنواع الإستغلال، الذي جعل الذات مُغتربة عن ذاتها وعن العالم. لذلك كان من أولويات النقد التقويضي لليوتار، إفراغ كل منظومة أو مؤسسة أو نظام سياسي إقتصادي من محتواه الإيديولوجي، القائم جذرياً على الإستثمار في الليبيدو المكبوت لكل منظومة، ويصرح ليوتار بحسب ماجاء به جيمس وليامز بأن :" هناك كثافة أو طاقة مخفية في جميع الأنظمة، مهمتنا هي إطلاق سراحها" (James , 2000, p. 40) . وإطلاق سراح كل الشُحنات المتخفية، ونقد أساليب الإستغلال

المباشرة والغير مباشرة للإنسان ورغباته، ومحاولة جعل الإنسان يستثمر في ذاته وقدراته ويشتغل على تطوير مهارته الإبتكارية، وجعل كل فكرة قابلة للتجسيد في شكل مشروع تنموي إقتصادي ونشر مايصطلح عليه ليوتار " براغماتيات المعرفة العلمية" من خلال تحليله لإبستيمية إقتصاد المعرفة في كتاب "الوضع مابعد حداثي" بالتوازي بالبحث والتساؤل في موقع الإنسان وسط الثورات العلمية والإبتكارات التكنولوجية المُذهلة القائمة على الرقمنة، بالنظر ايضاً في ميتودولوجيا ليوتار التفكيكية التي تعتمد على قراءة الحاضر لمجتمع مابعد الصناعة بالرجوع من حين إلى آخر إلى خطابات الوضع الصناعي وأنظمته الإقتصادية.

3.إستراتيجية الإستثمار المعاصر في الكفاءة والرغبة

1.3 الإقتصاد الليبيدي كأفق جديد:

لطالما إعتبر ليوتار كتاب "الإقتصاد الليبيدي" تجربة كتابية وفكرية فريدة من نوعها، ومحطة مِفصلية في كرونولوجيا أفكاره ومسيرته الفلسفية. إجتمع أغلب قراء ليوتار بأن هذا الكتاب صعب للغاية، فهو تحدي كتابي صعب خاضه ليوتار مع ذاته ضد ذاته، قدم الفلسفة بواسطة التحليل النفسي، بالأحرى، جعل الفلسفة ليبيدية، إستفزازية تكشف العمق المخفي في كل نظام وايديولوجيا، كما :" يقدم بعض المناقشات الرائعة حول فرويد وماركس والرأسمالية،يصعب أحياناً متابعة جمله الطويلة والمعقدة" (Simon, 2003, p. 133). لكنها جمل مُتمردّة على كل الأعراف الفلسفية والقيم المُواضعاتية، فهو الكتاب الذي يناقش الفلسفة بواسطة التحليل النفسي وهذا الأخير، يناقش بواسطته السياسة والإقتصاد، وكل هذه المجالات يجمعها ضمن سردية إقتصاد المعرفة في المجتمعات الأكثر تطوراً كما كتب في تقريره عن المعرفة المعاصرة.

بدأت ثورة ليوتار الإقتصادية على جعل كل منظومة إقتصادية قائمة على الإقتصاد في الرغبة(le Desir) وذلك من خلال تقديم فكر مبتكر و إنقلابي، بعد أن كان الجسد (Le corps) موضوع الإقتصاد السياسي وآداة يتم تشغيلها إلى جانب الآلة لإنتاج أكثر قدر ممكن من السلع، أصبح الجسد مع ليوتار مصدر كل ثورة وتمرد، يمكن من خلاله تحرير الطاقات الليبيدية، وتحرير الجسد من السلطة الوظيفية والآلية التي تورط فيها الإنسان في عصر الصناعة، لذلك جاءت مدونة إقتصاد الرغبة تتكلم عن الجسد وباسمه وبلغة الجنس والجسد معاً، علاوة على جعل السؤال يُفكر بواسطة مفاهيم جنسية ليبيدية بدون كبت أو قمع، وكانت العبارة الأولى التي إفتتح بها كتاب "الإقتصاد الليبيدي" كالتالي:" إفتح مايسمى بالجسد على جميع سطوحه" (Jean François, 1974, p. 9).

يُعتبر الجسد الليبيدي (corps libidinal) مسرح يتجلى فيه الفكر الحّر، وضمن هذا الأفق التحرري ناقش ليوتار المسائل السياسية والإقتصادية والإجتماعية من خلال الإشارة الدائمة إلى لاشعور كل خطاب، واعتبر بأن كل المنظومات يتحكم في إقتصادها الجسد(الجانب الغريزي في الإنسان)، ولإختبار هذه الفكرة واقعياً، نجد بأن الإقتصاد الراهن الذي يعتمد على "الميديا" يقوم على الاستثمار في رغبات الذوات المُستهلكة، كأن يتم هندسة علبة لأحدى المنتجات الإستهلاكية بمعايير سيكولوجية تجذب المُستهلك بدون وعي منه، لأنها تلبي حاجته ورغبته، وذات الشيئ بالنسبة للإعلانات المختلفة، وكلها تقوم على إستمالة المُستهلك لاشعوريا بمخاطبة ذاته العميقة المُكونة لمجموع رغباته. وبالتالي اصبح "الجسد" هو من يتحكم في الإقتصاد من خلال تحكمه قبلياً في الذوق، وعلى أساس رغبات الجسد يكون نمط الإنتاج ونوع السلع. وكل الإستثمارات الكبرى في عالم الإقتصاد ماهي إلا تلبية لرغبات وحاجات مكبوتة في الجسد، خذ لك مثالا على الشركات الإنتاجية للسينما، والمسرح والمُمولة للأعمال الفنية؛ تستخدم الجسد غاية من أجل وسيلة للربح، وكل ماأدى ذلك الجسد الدور التمثيلي باتقان، كلما زادت فرص النجاح والثروة للفيلم ويكون الإستثمار أكثر في الفنان الأكثر شهرة باعتباره الأكثر كفاءة وتفنناً في الآداء . ونفس الشيئ بالنسبة للأفلام الإباحية وغيرها من الأعمال الفنية التي تخاطب الليبيدو مباشرة وتستثمر فيه بواسطة الجسد.

وغيرها من الأمثلة تجعل من إبستيمية إقتصاد الرغبة لليوتار ليس مجرد مقاربة فلسفية، بقدر ماهي دراسة مُعمقة ومُفصلة عن المجتمع مابعد صناعي، وكشف للآليات الإستثمارية التي يقوم عليها، كما أن سياسة ليوتار الليبيدية تُثمن دور"التحليل النفسي" في التعامل مع أسئلة الراهن الإقتصادي، بلْ وحتى أنه درس كل العلاقات الإقتصادية وأنظمتها بواسطة التحليل النفسي(Psychanalyse) وكشف بطرق مختلفة رأسمالية ماركس من خلال تمثيله بالسرد التالي: تمثل(الرغبة الأولى) مشروع ماركس في تخليص الإنسان من الإغتراب وهو مايصطلح عليه ليوتار "بالفتاة الصغيرة". والتي وقعت في حب الرأسمالية وهو مايمثله ليوتار "بالنائب العام"، ووراء حب الرأسمالية تتخفى "الرغبة الثانية" المتمثلة في كشف مخططات وخُدع النظام الرأسمالي. ويكمل ليوتار السرد، لتقع الرغبة الأولى/ الفتاة الصغيرة في حب النظام الراسمالي، وتنساق وراء رغباتها وتنسى رغبتها في كشف هذا النظام، بلْ تُعزز رغبتها في الحب وتتبع النائب العام/الراسمالية :" حيث يكشف تفكيك نص ماركس عند ليوتار أن وراء "الرغبة" في إيجاد حب حقيقي ثمة رغبة أخرى، حيث يقع ماركس العظيم في غرام الراسمالية، قدرتها على مواجهة الرغبات الجديدة، حيث يكرر ماركس عبارة ،لاتأتي الآن، التي اعتبرها ليوتار تأجيلاً للتحرر ومنها يقلب الإقتصاد السياسي الماركسي رأساً على عقب" (مديحة دبابي، 2013، صفحة 155). وبالتالي، وحسب ليوتار فإن الرغبة الليبيدية الكامنة والمتمثلة في إستغلال البروليتاريا بعقلانية رأسمالية تجلت وطغت على "الرغبة المُزدوجة" والمتمثلة

بدورها في إنسانية المشروع الماركسي التحرري، وهكذا يضع ليوتار على العلن الرغبات المزدوجة والمتناقضة في إقتصاد ماركس و:" وصف الرغبة في إيجاد مجتمع غير مُغترب بأنها رغبة لايمكن إشباعها" (جيمس وليامز، 2003، صفحة 97).

الأبعاد الفلسفية التي يريد ليوتار توضيحها من خلال تحليل فكر ماركس الإقتصادي، هو البرهنة على ضرورة التحليل النفسي كميتودولوجيا تفكيكية، تبين كل مكبوت مهما كان نوع خطابه والمنظومة التي تخفيه، وإظهار "الرغبات المُخادعة" والتمويهية، والمجتمع الراهن، مجتمع المعلوماتية التي طورت من وسائلها التظليلية والتمويهية، يمكن تحليل معجميتها الرمزية كما يُفسر فرويد رمزية الأحلام في الأعمال الفنية، وعلى الإنسان المعاصر بحسب تطلعات ليوتار أن يكتسب ثقافة وإطلاع على "آليات التحليل النفسي"(لفرويد خاصة) والأخذ بها كسلاح لمواجهة سطوة "الإرهاب الناعم" الذي يعتمد عليه كل نظام سواء سياسي أو إقتصادي في شرعنة لعبته اللغوية، وتعميمها على باقي الألعاب الأخرى وسيادة نمطية خطاب على آخر، وكانت قراءة ليوتار التحليلية لإقتصاد ماركس بواسطة الرأسمالية، وكشف هذا بذاك بالإعتماد على معطيات الواقع وبالقراءة المُتأنية لكتابات ماركس كسند أساسي لنقد هذا الأخير. السؤال الذي يطرح نفسه، كيف قام ليوتار بتحليل إقتصاد المعرفة الذي يتخذ من النُظم المعلوماتية والإعلام سنداً له؟. واصبح المجتمع في عصر اقتصاد العلم يُعرف بين الأوساط الفكرية بتسميات مُختلفة، مثل "مجتمع الإستهلاك"، "مجتمع المعلومات" "مجتمع مابعد صناعي"، والتسمية التي لخصلت كل تفاصيل هذه المرحلة المابعد حداثية هي التسمية التي خصص لها جان بودريار كتاب بأكمله تبرهن على سلطة البنية الفوقية والتي سماها ب:"مُصطنع الإصطناع". وهل ياترى يمكن لإنسان المجتمع الراهن إقامة مسافة نقدية بينه وبين هذه الأنظمة اللامرئية كما فعل ليوتار مع الأنظمة المرئية (الأنظمة الإقتصادية). وهل سيفيد الدرس الفلسفي القائم على منهجية التحليل النفسي في تفكيك هذا الوضع بالذات؟.

3. 2 اقتصاد المعرفة: الأسس والرهانات

قدم ليوتار لحكومة كيبيك تقريراً مُفصلاً، يشرح فيه براغماتية(le Pragmatisme) المعرفة المعاصرة بالتوازي مع وضع المجتمعات المابعد حداثية الأكثر تطوراً من الناحية العلمية والمعرفية، كما لم يفصل في تقريره عن "المعرفة" (le savoir) عن السياقات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية كذلك، وذلك لتداخل الألعاب اللغوية(les (Jeux de langage فيما بينها، وضمن هذه الوضعية العلائقية التي يجتمع فيها "الإقتصاد" مع "المعرفة" وكلاهما يجتمع مع "السياسة". يمكن مساءلة سياسة ليوتار التفكيكية والتي تناقش بدورها سؤال"المعرفة" في المجتمع المابعد صناعي (Société Post-industrielle) وناقش :" كذلك مايسميه انتصار التقنية العلمية الرأسمالية،

واخيراً التحكم في الذات والمواضيع، والنجاح بوصفه معياراً أحادياً" (زواوي بغورة، 2009، صفحة 20). و هو المعيار الأول والأخير الذي تقوم عليه الرأسمالية المتأخرة، حيث تُرجع السياسة الليبرالية كل الأفعال الإقتصادية إلى مبدأ"الفعالية" و"الأداء للأحسن"، وإذا كان الإقتصاد السياسي يتخذ من الموارد الطبيعية مادة خام تحرك الإقتصاد والتنمية، فإن إقتصاد السياسة الراهنة يقوم على "الأفكار" ويتخذها مادة خام له. و التحول في طرق وأدوات الإقتصاد من حِقبة زمانية لأخرى، أثر على نشاط بعض المؤسسات الإقتصادية مقارنة بمؤسسات أخرى؛ وهذا ماجعل من المؤسسات والمشاريع ذات الطابع القومي تتراجع أمام سياسة "شركات متعددة الجنسيات"(M.N.C) والتي نشطت بدورها "الإقتصاد العالمي" نذكر على سبيل المثال: "شركة مايكروسوفت" و شركة "كوكا كولا"، وغيرها من الشركات متعددة الجنسيات والمجالات الإقتصادية، إستمدت قوتها من الأنترنت(في تسهيل الإنتاج والتوزيع)، ووسائل الإعلام التي تُروج لمنتوجاتها على الدوام، و الإعتماد على "علم التيلماطيقا" أيضاً، كما أن هذه الشركات المُختلطة توجهها كفاءات علمية مُتمكنة على ماتم ذكره، إلى جانب :" تداخل ثالث هو التفاعل الذي يحدث بين المجال التقني علميla (techno science) مع المجال السياسي–الإقتصادي، حيث يصير الأول خاضعاً لهيمنة الدول والمقاولات في شكل: ميزانيات عسكرية مثلاً لغزو الفضاء، ميزانيات نووية، بيولوجية، سوسيوسيكولوجية مثلما يحدث في الولايات المتحدة" (جان فرانسوا، 2016، صفحة 13).

وغيرها من الدول المتقدمة سارت على النهج البراغماتي الذي رسخ في ذهنية العقل الغربي الفكر الأنجلو–ساكسوني، القائم على التفكير المنطقي المُنظم. جعل هذا النمط من التفكير دول متقدمة دون أخرى، تعتمد في تقدمها على" الكفاءة" و"المهارة" والبحث الفردي المُتميز، وهو المنطق الذي تقوم عليه إقتصاديات المعرفة، فلم يعد العمال متساوين في ساعات العمل والدخل كما كان ذلك سائداً مع الرأسمالية، بل اصبح التميز الذي يشترط الكفاءة، المعيار الذي يُحدث الفروقات لا التساوي بين العمال داخل المؤسسة الإقتصادية، وتجسيد العقلانية الليبيرالية في قيام "مؤسسات ناشئة" يسيرها خواص متميزين بفكرهم ويديرون أعمالهم بمفردهم، تحت شعار:' الفكرة الصالحة هي الفكرة النافعة والقابلة للتجسيد الواقعي'، كما يمكن للعقول الحاملة للمشاريع المُستقبلية والأفكار المُبتكرة الإستثمار فيها من قِبل الشركات العابرة للقارات، وهو مايتميز به الإقتصاد العالمي الآن، لاسيما في مجتمع المعلومات :" وعند وصف الإقتصاد العالمي الحالي يتكرر استخدام مصطلحين هما: العولمة وإقتصاد المعرفة، لقد ظل العالم يشهد تزايد عولمة الشؤون الإقتصادية وذلك بسبب عدة عوامل من أهمها ثورة تكنولوجيا المعلومات والإتصالات " (أحمد نافع المدادحة، 2014، صفحة 38). وتمتد آليات هيمنة العولمة كلما تطورت "برمجيات الكمبيوتر" التي تطورت كل العلوم التقنية بواسطتها، ويعلق على هذا الوضع عالم الإجتماع آلان تورين (1925–

2023) واصفاً البراديغم الجديد لفهم عالم اليوم قائلاً :" جميع هذه الوقائع التي بات الكل يعلمها جيداً تضافرت من أجل خلق هذه العولمة التي تميزت في نظر العديد من المحلّلين، بتوسيع المشاركة في المقايضات الدولية على نحو سريع ونفوذ رأسمالية عظمى غالبا ماكانت مراكز قراراتها إمريكية" (آلان تورين، 2011، صفحة 44).

يقف ليوتار على خلاف تورين، بحيث لايهمه مركز مشروع العولمة والهيمنة العلمية، بقدر إهتمامه بالتحليل الدقيق لآليات هذه الهيمنة التي تتخذ شرعيتها وسناداتها من التكنولوجيات الحديثة والرقمنة و:" بالتالي تصبح التكنولوجيا أكفأ طريقة لتحقيق الإثبات العلمي وهكذا جرى تثبيت معادلة بين الثروة والكفاءة والحقيقة" (جون ليشتة، 2008، صفحة 496). ووفقاً لهذه الثلاثية يمكن أن يضع ليوتار القارئ في السياق المعرفي لإقتصاد المعرفة، كما أن هذا التكافؤ الثلاثي برز بقوة في ظل نظام الرأسمالية المتطورة وذلك للإستثمار في:" المنظومات الغريزية" des (dispositifs pulsionnels) وهي عنوان لكتابه الذي يقول فيه :" أمرت الرأسمالية المتطورة بما يلي: كن ذكياً، كن مبدعاً، أفكارك هي سلطة لي في المستقبل" (Jean François, 1994, p. 18).

أصبحت سلطة الفكر أكبر سلطة يمكن أن يمارسها من يمتلكها، وتتقوى أكثر عندما يتم تكوين الإنسان في "برمجيات الكمبيوتر" و "السيبرنيطيقا" و"التليماطيقا"، ليصبح الإنسان بعد هذا التكوين لديه رأس مال معلوماتي يمكنه من ولوج سوق إقتصاد المعرفة والنجاح فيه، من خلال تداول "رأس المال الفكري" الذي بحوزته، يقول ليوتار في هذا السياق :" ستتقادم مقولة أن المعارف تقع ضمن نطاق سلطات الدولة بوصفها ذهن أو عقل مجتمع، وذلك مع تزايد قوة المبدأ المقابل، الذي طبقاً له لايوجد المجتمع ويتقدم إلا إذا كانت الرسائل المتداولة في نطاقه غنية بالمعلومات ويسهل حل شفرتها، ستبدأ ايديولوجية شفافية الإتصال، التي تمضي يداً بيد مع تجارة المعرفة" (جان فرانسوا، 1994، صفحة 29).

والحق أن، مادعم هذه الايديولوجيا هي كما يقول ليوتار" علوم الإتصال عن بعد"(télématique) التي بواسطتها خرج الإقتصاد من حيز الدولة القومية، الى مقاولات عالمية وشركات كبرى بفروع منتشرة عبر كل ارجاء العالم كما ساعدت السيبرنيطيقا الى جانب التليماطيقا على توسيع نشاط الشركات المتعددة القوميات، وهذا الأمر حتم على الإقتصاد العالمي، فرض استراتيجية اقتصادية تواكب هذا الوضع، واولى خطواتها هي" تكوين كفاءات" وإطارات يمكن التقاطهم وتنقيتهم من "الجامعات" وتأهيلهم ضمن مراكز التأهيل المختلفة، وبالتالي لم تعد المعرفة قائمة بذاتها ولذاتها كما دشنت ذلك الذات المتكلمة الحديثة، وإنما اصبحت المعرفة الراهنة يتم إنتاجها وإستهلاكها وتداولها كسلعة رمزية و:" هكذا يمكننا توقع أن تصبح المعرفة خارجية تماما بالنسبة للعارف، عن أي نقطة قد

يشغلها في عملية المعرفة والمبدأ القديم القائل بأن اكتساب المعرفة لاينفصل عن تأهيل العقول أو حتى الأفراد، هذا المبدأ أخذ يصبح الآن عتيقاً" (جان فرانسوا ليوتار، 1994، صفحة 28).

بل المبدأ الأساسي لقيام الإقتصاد اليوم القائم بالأساس على الموارد البشرية، والإنسان محور الإستثمار في سردية المعرفة، وكما شرح ليوتار ذلك سلفاً؛ يكون هذا الإستثمار في اللاشعور/الرغبة من جهة، ومن جهة ثانية الإستثمار في الوعي (La conscience) والافكار (les idées) وأولى الخطوات التي قامت بها السياسة الليبيرالية؛ جعلت من تحقيق الربح بواسطة الفكرة ممكناً، و العمل على ربط المؤسسات الإقتصادية بالمؤسسات الجامعية ومراكز التأهيل المختلفة، لتكوين أشخاص في تخصصات معينة(خاصة في مجال الرقمنة والبرمجة) تحت الطلب بكفاءات وقدرات فكرية، تجعلهم محل إستقطاب المُستثمرين لهذه القدرات والأفكار الإبداعية، ويمكن أن تكون الشركات العابرة للقارات أحد أقطاب هذا الإستثمار. تعتبر كل هذه الإجراءات التخطيطية التي تجمع بين العلم والإقتصاد راجعة بالأساس إلى مايسميهم ليوتار ب"صناع القرار" (les décideurs) ويوضح ليوتار قائلاً :" يكفي القول أن وظائف الضبط، ومن ثم إعادة الإنتاج، تسحب وسوف يجري سحبها من المديرين لتوكل إلى الآلات، يصبح السؤال المحوري هو من سيكون له حق الوصول إلى المعلومات التي لابد أن تخزنها لضمان اتخاذ القرارات الصحيحة. إن الوصول إلى البيانات هو الآن، الشرط اللازم للخبراء، والطبقة الحاكمة هي الآن، وسوف تظل، طبقة صانعي القرار" (جان فرانسوا ليوتار، 1994، صفحة 37). من رجال أعمال وسياسيين، جعل هؤلاء أولى إهتماماتهم "تمويل الكفاءات" المطلوبة لإستثماراتهم وتحقيق بواسطتها ارباح وعائدات مادية تزيد من حظوظ فرصهم في السوق العالمي وبدون مُنازع يمكن القول بأن :" المعرفة إذا لعبة إقتصاد، والعلم قوة إنتاج، يعني لحظة في صيرورة رأس المال، نحن لانشتري اليوم علماء وتقنيين وتقنيات من أجل معرفة الحقيقة لكن من أجل الزيادة في السلطة، أما الجامعات والمؤسسات والمعاهد التعليمية العليا فمدعوة إلى تكوين كفاءات وليس مُثل ونماذج وأطباء في تخصصات معينة" (السعيد لبيب، 2022، الصفحات 109-110).

هذا الإهتمام المتزايد من قِبل صناع القرار بالشأن العلمي والإقتصادي، جعل ليوتار لايطمئن لهذا الوضع وبدأ يفكر في الأبعاد والآفاق التي يمكن أن يذهب إليها هوس هذا الإقتصاد بالتنمية، والتي يتنبأ بمخاطرها ليوتار في كتابه "اللاإنساني" والقلق حِيال الإقتصاد الذي بدأ بالإستثمار في الإنسان لينتهي بفقدانه، ويسود بعدها مجتمع الآلة والروبوت مع الثورات العلمية والتكنولوجية المُبهرة التي شهدها العلم المعاصر، هذا المصير الذي يتوقعه ليوتار للإنسانية:" وإذا تُركت "التنمية" بلا مُرشد، فإنها ستؤدي إلى ثقافة تقوم على مبادئ غير إنسانية ومن هنا جاءت دعوة ليوتار إلى المقاومة الكلية لمخطاطاتها" (Stuart Sim, 2001, p. 28).

يحث ليوتار على فكر"المقاومة" لمواجهة الثورة اللامرئية القادمة من المستقبل، الذي خطط له صناع القرار بدافع إقتصادي سياسي، والوسيلة كانت "العلم" و"المعرفة"، والإستراتيجية الفلسفية التي يقترحها ليوتار كفكر، هي "مقاومة" (Résistance)ومواجهة "إرهاب التنمية" من خلال الإستثمار في "العلوم الإنسانية"؛ فإذا كانت العلوم التقنية إعتمدت على الحوسبة في تطوير أبحاثها وبسط سلطتها، فإن على "العلوم الإنسانية" والقائمين عليها التجند بالأدوات المعرفية بخاصة "التحليل النفسي" الذي يُكسب للذات الباحثة رؤية جذرية للأزمات والمسائل، وبالإطلاع على هذا المجال يمكن تحليل كل أزمات المجتمع بواسطة آليات التحليل النفسي كما فعل ليوتار ، وليس فقط إعتباره علم مُخصص فقط لتحليل لاشعور الأنا العميق، فهو كذلك سلاح معرفي يمكن من خلاله تحليل الاشعور الجمعي لكل مجتمع يدعي أنه مُحصن بالعلم التقني المافوقي، هذا إلى جانب رصد الكثير من توصيات ليوتار للإنسان المعاصر بمقاومة آثار إقتصاد المعرفة التي إمتدت لحد الإستغلال في الإنسان وموارده، والدعوة إلى التحصن بفكر"الخلاف"(Le différend)، الفكر المُشرعن لإبستيمولوجيا النزاع(Litige) ولامقايسة الخطابات، وقاعدة فكر الخلاف الأساسية هي "اللاقاعدة" التي يدعوا إليها كتاب "الخلاف" حيث :" يشير عنوان الكتاب من خلال القيمة العامة للمقال إلى عدم وجود قاعدة عامة للحكم بين الأجناس غير المتجانسة" (Jean François Lyotard, 1983, p. 9) .

تغيب القاعدة التي تحمل كل سلطة سياسية وإقتصادية، وآن وقت إعلان فكر النزاع الخِلافي بين الأنواع المختلفة للخطاب عند ليوتار، كان محسوباً ومؤسساً له، حيث إنبثق سؤال الخلاف لليوتار لحظة تقديم المشروع الليبرالي لريتشارد رورتي(1931–2007)، الذي يدعوا إلى الكونية بواسطة نموذج المُصالحة سواء سياسياً أم إقتصادياً، هذا المشروع المُساند نوعاً ما لمشروع الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس (1929) الداعي إلى ذات المساعي الرورتية باسم"الإجماع"(L'unanimité) لذلك كان كتاب ليوتار"الخلاف" ثورة حقيقية على خطابات "الإجماع" والمُصالحة" التي تجعل من دولة قوية سياسياً وإقتصادياً يجتمع عند معاييرها كل دول العالم الأقل منها شأنا وسلطة، والخلاف هو إثارة حالة نزاع لانهائية لكي لايتحقق الإجماع ولكي لاتسود سياسة التنميط والحشد الجماهيري في الفلسفة وفي كل شيئ.

4.خاتمة

في الأخير، بعد تتبع أفكار ليوتار الفلسفية التي ناقشت بدورها سؤال المعرفة بجنب سؤال الإقتصاد، تم التوصل إلى الإستنتاجات التالية:

1- بحث ليوتار في سؤال" إقتصاد المعرفة" بطريقة راديكالية؛ في الإرهاصات الأولى التي جعلت من الإقتصاد يستثمر في المعرفة الإنسانية، من خلال آلية "الأنامانيز" والتي ينتهجها في كل الموضوعات التي يدرسها، مُبيناُ ليوتار بأن إقتصاد المعرفة بدأ مع الحداثة الغربية بشكل مُتخفي وراء السرديات الكبرى وفلسفات التاريخ التي مثلتها الهيغلية والماركسية، وذلك من خلال نشر" وهم التقدم" و"التطور"، وهي الحجة الأساسية التي برهن بواسطتها ليوتار بأن وهم التقدم أدى إلى "وهم التنمية" في العصر مابعد صناعي الذي تتحكم فيه إقتصاديات العلم.

2- إذا كانت سياسة إقتصاد المعرفة تعمل على فرض سيطرتها بشكل ليبرالي، بتكوين كفاءات مُتميزة في العلوم الدقيقة والبرمجيات الذكية، فإن من واجب المُختصين في ميدان العلوم الإنسانية العمل أيضاً على تكوين كفاءات في "التحليل النفسي" و"الفلسفة"، وذلك بنشر ثقافة التفكير الواعي والسؤول، بواسطة ممارسة التفلسف، لكن التفلسف الذي حث عليه ليوتار يكون تفلسف خارج كل سلطة أو إيديولوجيا، هو فكر يفصل بين المصالح والمعارف ويُعطي للذات الإنسانية حصانة خاصة من كل أنواع الإستغلال والسلطوية، والتحليل النفسي يمكن مُتخصصيه من إكتشاف لاشعور كل بِنية سياسية،إقتصادية، مُتخفية وراء خطاب أو منظومة،ومن خلال التوصية على إعتماد العلوم الإنسانية الإستثمار في الفلسفة والتحليل النفسي، يكون ليوتار بهذا، قد جعل العقل الإنساني في مناظرة علنية مع العقل العلمي –التقني، والإنتقال بذلك من ليبرالية العقل السلطوي العلمي إلى ليبرالية العقل الفلسفي الخلافي التحرّري.

3- سواءاً في مرحلة الإقتصاد السياسي أو الإقتصاد المعرفي، الإنسان هو المورد الأساسي والأولي لقيام كل نشاط إقتصادي، الإختلاف فقط في الطريقة، في الإقتصاد الرأسمالي يُستغل جُهد الإنسان ويُغترب لما يتساوى مع الآلة داخل الورشات الصناعية، أما في الإقتصاد المعرفي يُستغل الإنسان فِكرياً ويغترب أمام الأفكار التي ينتجها وتُسلب منه وتصبح مِلكاً للمؤسسة الإقتصادية التي تحتضن أفكاره وتُمولها في تكوين مشاريع تنموية. وبالتالي الإنسان في كلتا الحالتين وسيلة وغاية في الوقت عينه، ومحط إستغلال من الناحية الجسدية والفكرية وحتى الليبيدية.

4- أكد ليوتار من خلال عمله الإستفزازي" الإقتصاد الليبيدي" على فضح منطق كل المنظومات والمؤسسات مُركزاً على فكرتين أساسيتين هما: - كل المنظومات الإقتصادية تتحرك بدافع لاشعوري. – الجسد أصل قيام كل المنظومات التي أرجع أصلها ليوتار إلى منظومات غريزية/ليبيدية.

5- أراد ليوتار إنتشال "الجسد" من سلطة المنظومات الإقتصادية، وجعله هو مركز كل إقتصاد بعد أن كان هامشاً يتم إستغلاله، مُبيناً بأن كل نظام إقتصادي راجع لامحالة إلى قانون الرغبة المتواجد في أعماق الجسد، لذلك إعتمد على "التحليل النفسي" لتجنب المناهج الفلسفية المتداولة، وإبتكر طريقة بحث فلسفية قائمة على آليات التحليل النفسي، تُحاكي الرغبة لفهم الوعي، والفكرة المحورية التي توصل إلى إستنتاجها ليوتار في تحليله لسياسة الإقتصاد الراهن، هو أن الإقتصاد المعرفي جاء من الماضي، بحيث كان عبارة عن شحنات وطاقات ليبيدية كامنة في لاشعور الإقتصاد السياسي، وتجلت بشكل واضح في عصر مابعد الحداثة لوجود الأرضية الخِصبة من تقنيات وإكتشافات ووسائل إعلام والرقمنة، والتي من شأنها وسعت من نشاط الإقتصاد القائم على العلم، وجعلته كونياً ومُحقق لأرباح مُضاعفة في أقل وقت ممكن. وبعد التحليلات العميقة التي توصل إليها ليوتار بواسطة التحليل النفسي، قدم بدوره توصيات مُتكررة بأهمية التحليل النفسي في دراسة أزمات المجتمع بدءاً من تحليل الذات، إلى تحليل سيكولوجية الضمير الجمعي للمجتمع الراهن، مجتمع الإستهلاك بامتياز، الذي لا التفكيك ولا التأويل ولا السيميائيات إستطاعت إستنطاق مكبوتات هذا المجتمع ولا بتفكيك شفرات هيمنته الرمزية المافوقية.

5. قائمة المراجع:

1.James , W. (2000). *Lyotard & the Political.* London and New York: Routedge.

2.Jean François Lyotard. (1983). *Le Différend.* Paris: Minuit.

3.Jean François, L. (1974). *économie libidinale.* Paris: Minuit.

4.Jean François, L. (1994). *des dispositifs Pulsionnels.* Paris: Galilée.

5.Jean François, L. (1994). *des dispositifs Pulsionnels.* Paris: Galilée.

6.Simon, M. (2003). *Jean François Lyotard.* London and New York: Routedge.

7.Stuart Sim. (2001). *Lyotard and the Inhuman.* Cambridge: LTD Duxford.

8.آلان تورين. (2011). *براديغما جديدة لفهم عالم اليوم* (الإصدار 1). (سليمان جورج ، المترجمون) بيروت–لبنان: المنظمة العربية للترجمة.

9.السعيد لبيب. (2022). *جان فرانسوا ليوتار ونقد الفكر الشمولي* (الإصدار 1). لبنان: المركز القومي للأبحاث ودراسة السياسات.

10بغورة الزواوي. (2009). *مابعد الحداثة والتنوير موقف الانطولوجيا التاريخية (دراسة نقدية)*. بيروت–لبنان: دار الطليعة.

11.جان فرانسوا ليوتار. (1994). *الوضع مابعد حداثي تقرير عن المعرفة* (الإصدار 1). القاهرة–مصر: دار شرقيات للنشر والتوزيع.

12.جان فرانسوا ليوتار. (1994). *الوضع مابعد حداثي تقرير عن المعرفة* (الإصدار 1). (أحمد حسان، المترجمون) القاهرة–مصر: دار شرقيات للنشر والتوزيع.

13.جون ليشتة. (2008). *خمسون مفكرا أساسيا معاصرا، من البنيوية إلى مابعد الحداثة* (الإصدار 1). (البستاني فاتن، المترجمون) بيروت–لبنان: المنظمة العربية للترجمة.

14.جيمس وليامز .(2003) .*ليوتار نحو فلسفة مابعد الحداثة*) .(1 .éd)ع .ايمان (.Trad ,مصر :المجلس الأعلى للثقافة.

15.جيمس وليامز. (2003). *ليوتار نحو فلسفة مابعد الحداثة*. (ايمان عبد العزيز، المترجمون) مصر–القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

16.زواوي بغورة. (2009). *مابعد الحداثة والتنوير موقف الانطولوجيا التاريخية(دراسة نقدية)* (الإصدار 1). بيروت–لبنان: دار الطليعة.

17.عدنان عبد الكريم الذيابات أحمد نافع المدادحة. (2014). *اقتصاديات المعلومات والمعرفة* (الإصدار 1). عمان: مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع.

18.فروم إريك. (1998). *مفهوم الانسان عند ماركس* (الإصدار 1). (سيد رصاص محمد ، المترجمون) سوريا–دمشق: دار الحصاد للنشر والتوزيع.

19.فروم اريك. (1998). *مفهوم الإنسان عند ماركس* (الإصدار 1). (سيد رصاص محمد، المترجمون) سوريا دمشق: دار الحصاد للنشر والتوزيع.

20.كارل ماركس. (1984). *الغروندريسة اسس نقد الإقتصاد السياسي*. (الخفاجي عصام، المترجمون) بيروت–لبنان: دار ابن خلدون.

21.ليوتار جان فرانسوا . (1994). *الوضع مابعد حداثي،تقرير عن المعرفة*. (حسان أحمد، المترجمون) القاهرة– مصر: دار شرقيات.

22.ليوتار جان فرانسوا. (1944). *الوضع مابعد حداثي:تقرير عن المعرفة*. (حسان احمد، المترجمون) القاهرة– مصر: دار شرقيات.

23.ليوتار جان فرانسوا. (1994). *الوضع مابعد حداثي تقرير عن المعرفة* (الإصدار 1). القاهرة–مصر: دار شرقيات للنشر والتوزيع.

24.ليوتار جان فرانسوا. (2016). *في معنى مابعد الحداثة نصوص في الفلسفة والفن* (الإصدار 1). (لبيب السعيد، المترجمون) دار البيضاء–المغرب: المركز الثقافي العربي.

25.مديحة دبابي. (2013). مابعد الحداثة. تأليف المحمداوي علي عبود، *خطابات ال"مابعد": في استنفاد او تعديل المشروعات الفلسفية* (صفحة 153). الجزائر: منشورات الإختلاف.

26.مديحة دبابي. (2013). مابعد الحداثة. تأليف المحمداوي علي عبود، *خطابات ال"مابعد": في استنفاد او تعديل المشروعات الفلسفية* (صفحة 155). الجزائر: منشورات الإختلاف.

27.مديحة دبابي. (2013). مابعد الحداثة. تأليف المحمداوي علي عبود، *خطابات ال"مابعد": في استنفاد او تعديل المشروعات الفلسفية* (صفحة 155). الجزائر: منشورات الاختلاف.